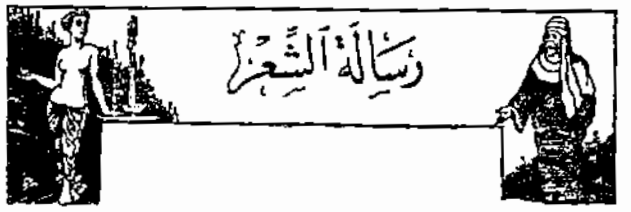

رجال ونساء

للأستاذ على محمود طه

[الشاعر المهندس الأستاذ « على محمود طه » ملحمة شعرية تقع فى نحو أربعمائة بيت من الشعر لم تنشر بعد . عنوانها « البعث الأول » يدور الحوار فيها بين شاعر وملك وأرواح حوريات فى انتظار البعث . أما موضوع الحوار فهو الفن وأثره فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، وما أثر الغريزة فيه ، وكيف تلهم الأرواح قبل حلولها فى أطيافها الميل إلى الشر أو الخير . وننشر فيما يلى هذا الحديث الذى يسوقه الشاعر على لسان الأرواح] .

بليتيس :

هو الحسنُ فنَّانُنا العبقريُّ ... هو الحبُّ سلطانُنا القاهرُ
ممثلهم لُعبَــةٌ فى يديهِ ... ومثَّالهم إصْــبَعٌ فاجرُ
وألحانهم من فحيحِ العروق ... يُرَجِّعها الوترُ الســاخرُ
ورسَّامُهم صَــنَمٌ مُبْصِرٌ ... فإن جُمِعوا فهمُ الشاعرُ

* * *

قلوبٌ مُدَلَّهةٌ بالجمال ... ترى فيه معبودَها المُلْهَما
هو الرجلُ القلبُ ، لا غيره ... فأَوْدعْتَهُ القَبَسَ المضرما
أَنِمْتَ به الشَّرسَ المستخفَّ ... وأيقظتَ فيــه الفتى المغرما
إذا ما اقتحمتَ هذا السياجَ ... فقد خضع الكونُ واستسلما

سافو :

ولكنْ حَذَارِ ففى طبعنا ... لِيانٌ يسمُّونه بالوداعه
وفيهم جــراءةُ مستأسدٍ ... تحدَّى المنيةَ باسمِ الشجاعه

بليتيس :

وَهِمْتِ فذاكَ هَزْلُ الرجال ... وفَنٌّ أجزنا عليهم خداعه
نُذيب به صُلْبَ أعصابهم ... وفى رِقَّةِ العود سرُّ المناعه

سافو :

أطلنا الأحاديثَ عن عالمٍ ... مُلثَّمةٍ أرضُــه بالخفاءْ
جعلناه مطمحَ أحــلامنا ... كأنَّا شقينا بسُكنى السماءْ
طوانا على حُبِّــهِ شاعرٌ ... كثيرُ المجانةِ نزرُ الحياءْ
أثار الملائكَ فى قدسها ... وأوقع فى سحرهِ الأبرياءْ

بليتيس :

عجبتُ له كيف جاز السماء ... وغرَّرَ بالمــلأ الطاهر ؟
أيمرحُ فى الكون شيطانُه ... بلا وازعٍ وبلا زاجر
دعى الوَهم سافو ولا تَحْقِرى ... بليتس معجزةَ الشاعر
فما نتقيهِ بحيَّاتِنــا ... إذا هو ألقى عصا الساحر !

تاييس :

بليتيسُ هَلْ هو ذاكَ الخيالُ ... المُجَنَّحُ بين حواشى الغيومْ
عَشِيَّةَ صــاح بأترابنا ... وقد أخطأته قِسِيُّ الرجومْ
وقيلَ لنــا مَلَكٌ عاشقٌ ... يُسرِّي الهمومَ بِبنتِ الكرومْ
يجوبُ السماء إذا ما انتشى ... يُعَرْبِدُ بين خدورِ النجومْ

بليتيس :

أعاجيبُ شَــتَّى لهذا الفتى ... وأعجبُ منها الذى تذكرينْ
كأنَّ أحاديثَه بيننا ... أساطيرُ آلهــةٍ غابرينْ
إذا كان للشعر هذا الصيالُ ... فوارحمتا للجمال الغبينْ !
وَدِدْتُ لو أنى فى إثره ... درجتُ على الأرض فى الدارجينْ

سافو :

أتغوين بالشعر شيطانَه ؟ ... خياليةٌ أنتِ أم شاعره !

بليتيس :

بل الشعرُ آسرُهُ المستبدُّ ... فيا ليتَ لى روحَه الآسره
ويا ليتَ لى وثباتِ الخيالِ ... وقوةَ أربابِه القــاهره
لصيَّرتُهُ مِثْــلَةً فى الحياةِ ... وسُخريةِ البعثِ فى الآخره

تاييس :

صفى لى يليتيسُ هذا الأملْ ... وماذا ابتدعتِ له من حِيَلْ ؟

بليتيس :

أُدَلِّهُ هــذا الفتى بالجمالِ ... وأُسْمِعُه من رقيق الغزلْ

وأورثه جُنّـــةً بالرحيقِ وأحرِمُه رَشَفَاتِ القُبَـــلْ
إلى أنْ تُحرّقَ أعصابُه ويصرَعه طائفٌ من خَبَـلْ

* * *

وأحفرُ بعـــد الردى قبرَه هناك على قِمّـــةِ الهـاويه
وأغرس فى قلبـــهِ زهرةً من الشرِّ ريّانةً ناديه
سَتَنْهـــا سمومُ شرايينه ورفّتْ بهـــا روحُه العاتيه
تُخفُّ إليها قلوبُ الرجال وترجع بالشوكةِ الداميـــه

* * *

إذا جَنَّها الليلُ لاحتْ به كعينٍ من اللّهَبِ المضطرمْ
تثور الشياطينُ من عطرها كمجمرةِ الـكاهن الملثمْ
إذا استافَها الرَّجُلُ العبقريُّ تَحوّل كالحيوان الوخِمْ
تصيحُ البلاهةُ من حوله فينظر كالصَّـنَمِ المبتسم !

تانيس :

هبى الشعرَ أولاكِ من مُلكه سماء الأُلوهةِ ذات البروجْ
ونصُّ المعانى على جانبيكِ فمنها السُّرى وإليكِ العروجْ
فما تصنعينَ إذا ما بُعِثْتِ واحدةً من بناتِ الزنوجْ !
ألم تسمعى قِصَّةَ السامرىِّ وما صَنَع القومُ بعد الخروجْ ؟

* * *

نبا منطقُ الوحى عن سمعهم وخفَّ عليـهِ رنينُ الطربْ
ومَدُّوا العيونَ إلى دُميـــةٍ تَمَثَّـلُ فى حيوانٍ عَجَبْ
ترامى بأحضـــانهِ غادةٌ أفادَ صباها شبوبَ اللّهَبْ
جنونُ الحياةِ وأهواؤها أنوثتُها وبريقُ الذّهَبْ ! !

* * *

فأينَ من القوم سحرُ البيانِ وصيحةُ موسى قَبَيْلَ الوداعْ؟
هُمُ الناسُ لا يعشقون الخيالَ إذا لمْ يكنْ حافزاً للطِباعْ
هُمُ الناسُ لا يعبدون الجمالَ إذا لم يكنْ نَهْـزةً للمتاعْ
هُمُ الناسُ لا يألفونَ الحياةَ إذا لم تكنْ مَعْرِضاً للخداعْ !

سافو :

تماثيـــلُهُ بعضُ أجسامنا وقد صاغها العبقريُّ الصّنَاع
ولوحاتُهُ صُـوَرُ الماريات إذا مَزّقَ الفنُّ عنها القناع
أبالشعر تُغوينَ هذا الفتى ؟ وَهِمْتِ إذنْ وجهلتِ الطباع !

أليستْ له صـبوةُ الآدمىّ وشهوةُ تلك الذئابِ الجياع ؟

بلبيس :

رجعتُ لنفسى فلا تغضبا وكُفّا العتابَ ولا تسْهِبا
لقد رُعْتمانى بهـذا المزاحِ وأبدعتما نبـــأً مُغْرِبا
سَرَتْ بىَ من ذكرهِ رعدةٌ كأنى لبستُ به الغيهبـــا
أتابيسُ ما كنتُ بِنْتَ الزنوجِ ولا شِمْتُ أمّا بهم أو أبا ! !

تانيس :

وَصَمْتِ الخليقةَ فى بعثهم كأنّهُمُ الحدَثُ المنكرُ
وما أخطأ الطيفُ[1] ألوانَه ولـكنّه القبَسُ الأحمر
أبوهم كما زعمـــوا آدمٌ وحـــواء أمُّهم المعْصِرُ
لهم أعينٌ تملأ الجمالَ وأفئدةٌ بالهـــوى تَشْعُرُ

* * *

لهم نارهم فى أقاصى الدُّجى وأبياتُهم فى أعالى الكهوفْ
ورقصٌ يُمَثّلُ قَلْبَ الحياةِ إذا ما استُخِفَّ بنقرِ الدفوفْ
ونايٌ يُقسِّمُ فيـه الربيعُ ويسكبُ شجوَ الليالى الهتوفْ
وسحرُ الطبيعةِ فى عُرْيها إذا هَتَكَ الفجرُ عنها الشفوفْ

* * *

تَفَرّدَ فنّهُمُ بالخلـــود وصيغَ بفطرتهم واتّسَمْ
يعيش جديداً بأرواحهم وإن عاش فيهم بروح القدَمْ
له بأس « مانا[2] » وإيحاؤه إذا اضطربتْ رُوحُه بالألمْ
وَرِقّة «هاوايَ[3]» فى شدْوها إذا جاشَ خاطرُها بالنّغَمْ

* * *

ألا فلْيَكُنْ لكِ من فنهم سموُّ اللظى وعتوُّ الجبالْ
ألا فلْيَكُنْ لكِ من سحرهم فنونٌ تُعَطِّلُ سحرَ الخيالْ
ألا فلْيَكُنْ لكِ من نارهم وشاحُ مُؤلهـــةٍ بالجمالْ
إلى الأرضِ فانتقمى للنساء وكونى بها مِحنةً للرجالْ ! !

علي محمود طه

---

(١) الطيف الشمسى وهو مؤلف من الألوان السبعة المعروفة وأحدها اللون الأحمر

(٢) مانا أعظم آلهة التابو المسيطرة على قبائل الزنوج وخاصة فى جزائر الهند الغربية ومعروف بشدة انتقامه من الرجل الذى يمس عذراء التابو ، ومن مظاهر غضبه ثوران البراكين وحصول الزلازل الأرضية

(٣) من جزائر إميركا مشهورة بموسيقاها الفطرية التى تستبد بالعواطف